

ديزيره سقال

أصداء وألوان



٢٠١٧



مَكْتَبَةُ لِسَانِ الْعَرَبِ

رابطہ بدیل
lisanerab.com

أ. علاء الدين شوقي

www.lisanarb.com



ديزيره سقال

أصداء وألوان



٢٠١٧

القصيدة ١

(إلى ديزيره سقال)

... ثمَّ يَبْدَأُ الصَّمْتُ بالتداعي،

وَيَبْدَأُ الشَّكْلُ بالتداعي،

وَيَبْدَأُ التَّدَاعِي ...

غَيْرَ أَنَّ هَذَا الْهَوَاءَ الْإِهْلِيلِيَّيَّ يَحَاصِرُ الْعَصْرَ،

يَنْتَقِبُ الْبَرْدُ، يَنْطَرِحُ الْبَحْرُ عَلَى الشَّرَمِ، يَبْدَأُ الْحِصَارُ/

هَلْ

يَمْسُحُ

الْمَاءُ

لَوْنَ

أَلْمَاءِ؟

هَكَذَا تَبْدَأُ الْقَصِيدَةُ، وَبَعْضُ الْبُثُورِ تَخْرُجُ مِنْ دَمِ

الْعَصْرِ، بَعْضُ الْأَسْمَالِ مِنْ عَيْنَيْهِ؛ بَيَدَ أَنْكَ تَسْأَلُ عَنْ

حدودِ الرَّجْعِ، تسألُ عن بعضِ الأليافِ، تسألُ/
 وجهكَ ظامئُ/ هل يصيرُ البردُ ترجمانَ اللونِ؟

هَيَأَتِكَ شَكْلٌ يَمَسُحُ الشَّكْلَ،
 للشمسِ عطشٌ.
 من أينَ تبدأُ عندما يصيرُ الشرقُ ممحاةً؟
 وجهكَ ظامئُ/ هل يصيرُ البردُ ترجمانَ اللونِ؟

بردُ التاجِ
 يلبسُ الوقيعَةَ العمياءَ.

الأرضُ مِنحَلٌ
 والشمسُ قرصٌ من الرصاصِ -

هل يبدأ آدم؟

القصيدة تكتب نفسها - تسأل عن العرق بين
الماء ومجرى الماء، تموز في النور الإهليلجي، يحاصرها
العدم - هل تدخل الأرض في جلد الضب؟

تننفس في الحد الملائق للعدم، في صدفة
الانتظار. تلتقطك الجوامح. يبدأ بك تصدع الشيء.
ينتهي بك الشرم؛ بيد أنك لا تسكن في الانفصال.
وجهك بقية تحترق،
انحدار صوب الله!

ينشطُ في جِدِّكَ اللُّونُ. قبلَ الميلاَدِ بِبَعْضِ رَمَادٍ
 تَمُرُّ زواياكَ المنحنيَّةُ. تَخْرُجُ مِنَ الصِّدْيِ رَطْبًا، مُمَدِّدًا
 كَالقِثَاءِ. يَصِلُ إِلَيْكَ الصِّدْيُ. يَلْتَهَمُكَ. تَتَكَوَّبُ.
 تَتَفَلْسَى. تُعُودُ.

تدخلُ

شيئًا

فشيئًا

حيثُ

ينشطُ

في جِدِّكَ اللُّونُ...

قَلْعَةٌ مِنَ الرِّكَامِ -

تتحلّق حولك الوجوه في آخر الشّفير الذي
يرضع الأشكال المتدافعة. يساقطُ فيك كرزٌ وحوخٌ
وبعض حلمٍ... تتكوكّب المدينة. تبدأ الأشكال:

١ - جليل حيدر يكشفُ الضوءَ عن نعليه.

٢ - رامز عوّض يُجنُّ في خرائط الانتحار.

٣ - يولا فّران تحملُ حرارة الظلِّ في أبجدية

الدخول الجديد.

٤ - جيلبير زبال يبدأ أُنومَ المحالِ رابضًا بلوحي

موسى .

غير أنّك تتخطى الأشكال مُنحدرا في هبوطٍ

مُضيءٍ، يا الضارب في جذور الليل، حيثُ لا لوح إلا

مقرونٌ برعشة الهوة.

قلعةٌ من الرّخامِ -

تسألُ عن الفرقِ بينَ الماءِ ومجرى الماءِ.

تخرجُ لحظةً من القصيدةِ وهي تكتبُ نفسها،
وتدخلُ بحجّةٍ غريبةةً. لكنك فيما تبحثُ عن صوتٍ تتعثرُ
بالأسمالِ. ترى غيومًا في ضبابِ الأقداحِ. ترى في
الخوفِ ضبابًا لرمالٍ تتسرّبُ - هل توقّفَ الزحفُ؟

تبقى لحظةً بينَ الحرفِ والحرفِ.

تبقى لحظةً متأملاً بعضَ الكوى.

تبقى لحظةً...

تراقبُ الظلَّ يطغى على غيابِ الشّمسِ -

أَلشَّمْسُ قَرِصٌ مِّنَ الرِّصَاصِ
وَالْقَبِيلَةُ قَبْلَةٌ دَمَوِيَّةٌ.

برُجٌ مِنَ الإِعْصَارِ -

يَعَاوِدُكَ الإِعْصَارُ. تَرَى قَبَّةً نَحَاسِيَّةً. تَرَى بِكَفِيًّا
قَبَّةً نَحَاسِيَّةً فَوْقَهَا عَشْبٌ بَاهِتٌ. يَدْخُلُ لَوْهَا الْمَرَاةُ.
يُخْرَجُ...

تَمُوتُ مَعًا وَتَوَلَّدُ مَعًا.

غَيْرَ أَنَّكَ

تَبْقَى فِي مَدَارِ الْقَبِيلَةِ الدَّمَوِيَّةِ.

كُنْتَ تَسْمَعُ نِدَاءً (عَاشِقٌ أَوْ مَعْشُوقٌ؟) لَكِنَّكَ

لَا تَرَى. حَوْلَكَ تُرَاثٌ جَائِعٌ يَنْهَضُ.

تتخترُ الوجوهُ. تعاودُك الأشكالُ:

١ - ماري غ... تسيّرُ على حافةِ العمرِ اليابسِ

(هل تموتُ؟)

٢ - جوزف سقال عصفورٌ يزهو في ضبابِ

الوطنِ.

٣ - الياس حُود "مشاهدٌ" مُتكرّرةٌ وجنوبٌ

يبكي.

٤ - ديزيره سقال بريقٌ يتخبّطُ بينَ الدمعةِ

والدمعةِ.

٥ - ليلي جوقةٌ ملائكيةٌ تترنّم.

٦ - رولان سقال وجهٌ ضيّع الفردوسَ وانهارَ في

فراغِ حلمٍ.

يُعاودك النداءُ لكنك لا ترى. يعلو زئبقُ الغطاءِ.

تنتهبُك "الحربُ". تطفّرُ بيروتُ من هاويةِ الدموعِ.

أرى عينيك شاشاتٍ من البريق.
أرى فضاءً وجهك سديماً.
تفتحُ جناحيك وتهجمُ...

المهرجُ يَبْقُرُ الرؤيا .
تتساءلُ:

هلْ

بمسحُ

الماءِ

لونَ

الماءِ؟

تتكسّرُ. تتكوكبُ. تعودُ.

غيرَ أنك تخرجُ من الأمرِ الواحدِ.

تولدُ معاً وتموتُ معاً.

تموتُ معًا وتولدُ معًا.
 وحوالكِ كابوسٌ من الجِياعِ.

هكذا تكتبُ القصيدةُ نفسها.
 هكذا تصبُحُ العاشقُ والمعشوقُ.
 وفي خِصَمِ البَهجةِ، حينَ يتلاشى اللسانُ في
 فراديسِ الكلامِ، تنتظرُ. يتغلبُ عليكِ التوحيدُ.
 وتبقى حولكِ الأرضُ
 ماءً
 ومجرى ماءٍ.
 وتبقى حولكِ الأرضُ
 رعدًا يمتصُّ الندى وينثُرُ الرحيقَ...

(النهار : ١٣ - ٩ - ١٩٨١)

القصيدۃ ٢

(إلى ديزيره سقال)

- ١ -

يُخْرِجُ مِنْ ذَاتِهِ لِيَرَاهَا.

يَتَنَقَّلُ، بِإِلَاحِ جَسَدِهِ، بَيْنَ الْأَشْيَاءِ /

يَتَّحِدُ بِهَا / يَلْبَسُهَا /

يَذُوقُ لَوْنَهَا وَيَسْمَعُ ضَجِيجَ صَمْتِهَا

وَصَمْتَ حَرَكَتِهَا /

وَفِي كُلِّ شَيْءٍ

يَتْرُكُ ذَاتَهُ وَيَرْحَلُ.

لكنه،

بَيْنَ الْفَيْنَةِ وَالْفَيْنَةِ،

يَطِيرُ فَوْقَ ذَاتِهِ

لِيُشْرِقَ عَلَيْهَا كَالِهٍ.

وَعِنْدَمَا يَسْتَرْجِعُ نَفْسَهُ

وَيَعُودُ إِلَيْهِ

تَضِيقُ الرَّؤْيَا شَيْئًا فَشَيْئًا

وَيَتَّسَعُ هُوَ.

- ٢ -

يَسْكُنُ فِي شَوَارِعِ الْجَسَدِ وَتَارَةً فِي سَمَاءِ الرُّوحِ؛

وَلَكِنَّهُ بَيْنَهُمَا مَشْدُودٌ كَالْخَيْطِ،

وَاسِعٌ كَالْعِبَارَةِ.

يَتَحَرَّكَ بِحَذَرٍ كَمَنْ يَمْشِي وَاثِقًا عَلَى حَدِّ السِّيفِ،
 أَوْ كَمِثْلِ بَهْلَوَانٍ يَقْفِزُ عَلَى حَبْلِ وَلَا يَخَافُ / يحتوي كلُّ
 شيءٍ تحتَ جِلْدِهِ: الشَّوَارِعَ، السِّيارَاتِ، الأَرْضَ،
 السَّمَاءَ، الشَّجَرَ، الحَبَّ، والبِكَاءَ / يحتوي كلُّ شيءٍ ولا
 يَنِي يَطْلُبُ أَكْثَرَ، بِالْحَاحِ يَطْلُبُ أَكْثَرَ /

يَسْتَبْدُّ بِهِ الطَّمَعُ:

طَمَعٌ كَالْحَبِّ العَارِمِ،

طَمَعٌ كَالوَجْدِ،

طَمَعٌ كَالْمِجْمَعَةِ الرِّقِيقَةِ،

طَمَعٌ كَالقَبْلَةِ الأُولَى،

طَمَعٌ كَالنَّارِ كَاللهِيبِ،

طَمَعٌ كَالسَّعَةِ تُخْرَجُ مِنَ الفِرْدَوْسِ،

طَمَعٌ كَفَضُولِ الاكْتِشَافِ /

يَسْتَبْدُّ بِهِ الكَشْفُ /

يَرَى وَيَسْمَعُ وَيَقُولُ

وهو أشدُّ ارتعاشًا من ورقِ الخريفِ:

راءٍ كالدائبِ في عينِ الـ"هو".

سامعٌ كأذنِ السماءِ ترقبُ الأرضَ،

قائلٌ كمنطقِ الكلمةِ الأولى:

"كن - كوني"

كانَ الكلامُ سرَّه الأكبرَ

- والكلامُ جبلُّه الذي يحدثُ فيه اللهُ،

يشاركُهُ خلقُهُ -

من غيرِ حجابٍ:

يورقُ فيه اللهُ / يتحدُّ بهِ / يتساويان / يتكسّران /

يتشظيان / ويبقيان واحدين متميزين:

أحدهما في الأرضِ

والآخرُ في السماءِ /

يرى ويسمعُ ويقولُ ...

ومع ذلكَ

لا صوتَ له ولا لونَ

لا أذنَ ولا عَيْنَ -

ينحلُّ في ذاته بصيرةً، روحًا، ولا شكلَ،

لا شيءَ سواه/

لا شيءَ في الأرضِ في السماءِ في الجهاتِ في الذاتِ في

الآخرِ في الداخلِ والخارجِ... سواه/

كلُّ شيءٍ هوَ

كلُّ وقتٍ وكلُّ مكانٍ.

صلبٌ، ولكنّه بليونةِ الماءِ.

مُتماسِكٌ، ويسيلُ كالزَّبَقِ.

ضاحٌ، ولا حسَّ فيه كالصمتِ.

لا شيءَ سواه:

كلُّ ما فيه ليسَ له،

وكلُّ ما له غائبٌ عنه،

ولكنّه يملكُ كلَّ شيءٍ.

- ٣ -

" - القصيدةُ تتحرَّكُ بي / تُحرِّكُني .

أَيكونُ وجهي أشدَّ بوحًا من المدادِ الذي

يسيلُ؟ "

القصيدةُ تتحرَّكُ -

ينزلُ إلى سراديبها .

يطيرُ في سمائها / يتجمَّعُ - يتشظَّى /

يتكاثرُ في كلِّ زواياها :

أحصنةُ تخرجُ من الغبارِ - تذوبُ فيه / مدائنُ

تتشكِّلُ من ضبابٍ - تذوبُ فيه / "صحراءُ" تمتدُّ من

الرمْلِ على الوطنِ - تذوبُ فيه / وجهُ عاشقةٍ يؤوبُ إلى

معشوقه - يذوبُ فيه / سهيلُ فَجْرٍ يخرجُ على الظلامِ

- يذوبُ فيه /

يتكاثر في زوايا القصيدة:

١ - أدونيس: مُرْكَبٌ مُشِعٌّ يَخْتَرُقُ

ضلوعه ويفتحها على الأبدية.

٢ - خليل حاوي: رصاصةٌ تمزُّ يستلهم

من ضجَّتِها رؤيا جديدةً.

٣ - محمود درويش: نضالُ الفجرِ مع

ليلٍ بطولِ العالم.

٤ - إيف بونفوا: قراءةٌ لرؤيا وثنيةٍ من

أفقٍ آخر.

٥ - ميشال ديغي: خروجُ بُنيويٍّ إلى

حقولِ الشَّعرِ.

يتكاثر في زوايا القصيدة:

الوطنُ يهجسُ بهِ،
يسافرُ معهُ إلى حنينِ الجديدِ،
إلى فضاءٍ رائعٍ مليءٍ بالغضبِ.

"- القصيدةُ تتحرَّكُ بي / تُحرِّكُنِي.
أَيكونُ وجهي شكلاً للماءِ وهو يغسلُ الأرضَ؟"

بينَ الحرفِ والحرفِ / بينَ الكلامِ والكلامِ
هواجسُ مُتَقَطَّعةٌ كلِّهاثِ العاشقينِ
كلدَّةِ النشوةِ التي تكتشفُ الآخرَ -
لهاثٌ... لهاثٌ...
لهاثٌ صاعدٌ من ألقِ التكوينِ - هابطٌ في ألقى

التكوينِ،

لهأُ سائلٌ كالدمعةِ بينَ المفترقِ والمفترقِ، بينَ
 الدهشةِ والدهشةِ، بينَ الشَّهقةِ والشَّهقةِ،
 لهأُ ذائبٌ في المدادِ الرُّبقيِّ الذي يكتبُ العالمَ،
 لهأُ خارجٌ من السِّرِّ، عائدٌ إلى السِّرِّ،
 لهأُ هادِرٌ في الصمتِ - صامتٌ في الهديرِ،
 لهأُ منكفيٌّ إلى الذاتِ - ممتدٌّ من الذاتِ إلى
 العالمِ،

لهأُ مُنهَلٌّ في عرقِ التعبِ، في تعبِ الرِّضى عن
 الكتابةِ،

لهأُ... لهأُ /

" - أيكونُ وجهي شكلاً للماء وهو يغسلُ
 الأرضَ؟"

- ٤ -

القصيدةُ تتحرُّكُ / تصنعُ نفسها:

- ١ - رامز عوض: دهشة الضحك في تحدي العالم المحبط.
- ٢ - روبر البيطار: تواتر شعري بين الاكتشاف والبوح.
- ٣ - يولا فران: حقل من الضوء يطير بعيني القصيدة.
- ٤ - جمعية "تجاوز": أمل بالخروج إلى إشراقه الرؤيا.

كلُّ شيءٍ يتجمّع فيه
ولكنّه يُبدِّدُه ويتحرّكُ في كلّ اتجاهٍ.
الوطنُ سيفٌ يرحلُ في الجرح،
الوطنُ صدَى له - أفقٌ من عصبه ومسامه وجلده/

مِدادٌ يكتُبُ -

يتكسّرُ في الحروفِ يتشظى يعودُ

ويلتئم... .

مِدادٌ ويكتُبُ:

- الأرضُ امتدادٌ له: جسدٌ وروحٌ.

- السماءُ مدىً لحركته.

- وحدّه اللانهاية.

- ٥ -

في الأنينِ الذي يَسْتَدِيرُ كحَبَّةِ قَمْحٍ،

كوهجٍ يلفُّ المدىَ والمتاهةَ

يُفْتَتِحُ وجهُكَ كي يتحرَّكَ في الحَبْرِ

أو

يكتبُ المستحيلَ الذي عَجَنَتْهُ يداكُ

وكوُنْتَ مِنْهُ الْجَبَاهُ/
أَيُّهَا الْمتَوَحِّدُ فِي الْحَبْرِ وَالْحَرْفِ
عَبَّرَ الرَّؤْيَى وَالغَيْوِبِ الْقَصِيَّةَ
وَجَهَّتْ الْآنَ مَحْبَرَةً لِلزَّمَانِ
وَأَهَاتِكَ الْأَبْجَدِيَّةَ.

(٢٠٠٥ / ٨ / ١٦)

(استدراك: القصيدة مهداة أيضاً إلى:

- رامز عوض،

- منذر عامر،

- والآخرين...)

صديق

(إلى رامز عوض)

- ١ -

يُخْرِجُ
 مِنْ أُنْفِىِ الْغُرَابَةِ.
 بَيْنَهُ وَبَيْنَ الْعَالَمِ هُوَّةٌ، صَحْرَاءُ، فِضَاءٌ وَاسِعٌ، كَوْنٌ / وَمَعَ
 ذَلِكَ
 يَرَاهُ وَيَقْبِضُ عَلَيْهِ.

يُخْرِجُ
 مِنْ فِضَاءٍ غَرِيبٍ كَالْأَلْقِ /
 يَنْكَسِرُ فِي الْمَدَادِ،

يُنَاوِرُ،
يَسْتَيْقِظُ مُرَهَقًا عَلَى لَيْلِ الْأَشْيَاءِ؛
يَكْتُبُهَا تَوْهُّجًا،
شَطَايَا،
وَأَضْغَاتَ أَحْلَامٍ.

لَكِنَّهُ،
بَيْنَ الْبُرْهَةِ وَالْبُرْهَةِ،
يَنْظُرُ حَوْلَهُ
وَلَا يَقْرَأُ إِلَّا الْغِيَابَ.

أَيَكْفِي هَذَا الضَّجِيجُ الْعَمِيقُ لِتَغْيِيرِ وَجْهِهِ؟
أَيَكْفِي هَمْسُ الرِّفْضِ لِيَصِيرَ الْفَضَاءُ حَبْرًا لِلْكِتَابَةِ

والحلمُ أجديةً؟

أَيَكْفِي هَذَا الضَّحِكُ الهَارِبُ مِنْ بَيْنِ السُّطُورِ

وهذا الحزنُ المنكسرُ في الجرحِ،

الراجلُ على سُنَنِ الإحباطِ،

ليبدأَ العالمُ معَه رحلةً إلى المدهشِ

أَوْ

ليخرجَ العالمُ من قِشْرَتِهِ

وَيَسْتَحِمَّ فِي ذَاتِ الْوَرَقِ؟

أَتَكْفِي هَذِهِ الكوايسُ الراحلةُ

فِي أَسَنِ الْوَطَنِ الْمَصْدَعِ

تَحْتُ الْقَلَمِ عَلَى الْإِجَارِ فِي مَوْجِ الْوَرَقِ

حَيْثُ يَجْدُ هُوَ أَفْقَهُ

وَيَنْسَلِخُ عَنْ ذَاتِهِ

لِيَسْكُنَ ذَاتًا أُخْرَى

مِنْ ضَبَابٍ؟

أَيْهَا النَّازِلُ مِنْ أَفْقِ الْعَرَابَةِ الْمُضِيئَةِ،
 أَلْصَاعِدُ إِلَى ضَعْفَةِ الْجَحِيمِ،
 أَيْهَا الْمَنْعَزُ فِي حُدُودِ الْحَلَمِ،
 الْمَسْكُونُ بِالدهْشَةِ،
 الْخَارِجُ مِنَ التَّرَاكِمِ إِلَى إِشْعَاعِ الْفَرَادَةِ،
 أَيْهَا النَّازِلُ مِنْ جَحِيمِ اللَّهِ
 إِلَى سُكُونِكَ،
 تَأَلَّقَ فِي ثُرَيَّاتِ الْوَحْيِ الضَّائِعِ،
 وَحُطَّ لِلْعَالَمِ إِطَارًا ذَهَبِيًّا
 لِرِوَايَتِكَ الْمَاسِيَّةِ الَّتِي لَمْ تُكْتَبْ.

- ٢ -

بَيْنَ الْمَدَى الصَّارِخِ وَالذَّاتِ الْمَضْطَرِبَةِ حَتَّى الْانْفِجَارِ،
 بَيْنَ الْعَقِيدَةِ الْمَكْتَنَزَةِ وَالْفِكْرِ الْفَارِغِ إِلَّا مِنْ ذَاتِهِ،

بَيْنَ الْعَقْلِ الَّذِي يَبْنِي وَالرَّفْضِ الَّذِي يُجْرِبُ
 يَتَمَدَّدُ وَجْهَكَ
 وَاسِعًا كَالصَّحْرَاءِ،
 ضَيِّقًا كَخَزْمِ الْإِبْرَةِ.
 كُنْتَ تَلْتَمُّ خَارِجَ الدُّنْيَا،
 تَحْشُدُ ذَاتَكَ كَحَقْلِ مِنَ السَّرْوِ
 أَوْ

كَحَزْمَةٍ مِنْ سَنَايِلِ الْقَمْحِ
 وَتَهَاجِمُ الْوَاقِعَ/
 كَانَ بَيْنَكَ وَبَيْنَ انْحِنَاءَاتِ الضَّوْءِ
 كُلُّ هَذَا الْأَلْقِ
 وَكُلُّ كُلِّ هَذَا الْبَرِيقِ.

إِذْنُ

لماذا، أيُّها المرتمي بأحضانِ الغرابةِ،
أيُّها المستقرُّ في عينِ الدهشةِ،

لماذا

تخلعُ جسدَكَ
وتُحاذي بخطوكِ الهواءِ
حينَ يجفُّ العالمُ كالحطبِ،
حينَ ينبسطُ الكلامُ كلسانِ الصَّحراءِ،
حينَ يتخثَّرُ الحبرُ عبْرَ ضفافِ القريحةِ،
وتَغيبُ...؟

لماذا

تُصدِّعُ الهواءَ في مُروركِ العارِمِ
وتنبسطُ كالرايةِ في إشراقِ الحلمِ،
تفتحُ نفسك على تألقِ المجهولِ

وتغيبُ...؟

لماذا

أَيُّهَا الهَارِبُ مِنْ ذَاتِكَ،

الْمَشْتَاقُ إِلَى ذَاتِكَ،

لماذا

تَجَسُّسُنَا بِحَنِينِكَ الثَّاقِبِ،

تُطَلِّقُنَا كَالْأَلْعَابِ النَّارِيَّةِ

فِي سَمَاءِ أَقَاصِيصِكَ الْمُنْخَطِفَةِ

وتغيبُ...؟

- ٣ -

وَجْهَكَ تَأْتِقُ السَّرَابِ

في صحراء الارتواء القاحل.

وجهك الجرح الممتد

في جحيم قلوبنا.

وجهك الأنين الذاهل

في جسد الواقع الثقيل.

وجهك الطغنة

على شفير الجراح الأخيرة.

(أَيْنَ وَجْهَكَ؟)

كُنْتَ تَصْطَبُغُ بِالْحَلَمِ،

تَتَوَتَّرُ عَبْرَ سَدِيمِ تَوَقِّكَ الطَّافِرِ،

وَيَبْدَأُ الْعَالَمَ:

- تروتسكي: تَأَلَّقُ الْفِكْرَ عَبْرَ أَرْضٍ مِنْ فَرَاغٍ.

- هاني الراهب: مِدَادُ أَسْوَدُ وَرَوَايَةٌ لَمْ تُنْجَرْ.

- نجوى يمّين: طَعْنَةٌ رَائِعَةٌ وَمُوسِيقَى مِنْ أَثِيرٍ

غَامِضٍ.

- رامز عوض: تَشْتُتُ بَيْنَ فِكْرٍ يَتَلَاشَى وَإِبْدَاعٍ

مِنَ الذَّاتِ يَتَخَطَّى.

كُلُّ مَا حَوْلَكَ يَمِيعُ / يَنْجَدُرُ فِي مِدَادِكَ.

تُخْرِجُهُ مِنْ عَصَبِكَ،

مِنَ عَيْنِكَ الرُّؤْيُويَّتَيْنِ.

تَتَأَلَّقُ فِيهِ - يَتَأَلَّقُ بِكَ

ثمَّ

يتلاشى عَبْرَ الضَّحْكَ الكَبِيرَةِ.

أَيْنَ وَجْهُكَ؟

أَيُّهَا الذَّاهِلُ حَتَّى الغِيَابِ،

أَيُّهَا الخَارِجُ مِنْ مَدَى الحَبْرِ وَرائِحَةِ الوَرَقِ،

أَيْنَ وَجْهُكَ؟

- ٤ -

لا شَيْءَ سِوَاكَ

فِي هَذَا المَدَى المَضْعَضِ حَتَّى الأُفُولِ،

فِي هَذَا الأُفُقِ الصَّحْرَاءِ يَخْرُجُ مِنْ أَعْيُنِنَا.

لا شيءَ سِوَاكَ
 فِي هَذَا التَّأَلُّقِ الْمُؤَلِّمِ
 وَالْعَالَمِ الْمُنْسَابِ مِنْ بَيْنِ أَصَابِعِنَا كَالرَّمْلِ.

لا شيءَ سِوَاكَ
 فِي هَذَا الْوَاقِعِ الْمَشْطَى
 تَحْتَ مَسَامِّ الْحَلَمِ.

لا شيءَ سِوَاكَ
 فِي جَسَدِ الْكِتَابَةِ الْقَاجِلِ
 وَفِكْرِ يَسْنُقُ تَحْتَ أَرْجُلِ الْحَقِيقَةِ.

ولكن

حينَ تَنكسرُ الدَّهشَةُ الجامِحَةُ

تأوي أنتَ إلى ذاتِكَ المنفتِحَةِ

وتَغزُلُ الحُلَمَ الطويلَ...

(١٧ - ١٨ / ٨ / ٢٠٠٥)

مرآة لجليل حيدر

عِنْدَمَا تَسْتَكِينُ إِلَى الذَّاتِ
لَوْنًا لِمَرَاةٍ جَوْعٍ
وَتَرْقُصُ حَوْلَ حُطَامِ الزَّوَايَا
تُعَايِنُ أَرْضًا مِنَ الْإِمْتِدَادِ
وَتَتْرُكُ جَوْعَكَ شَهْوَةً حَسَنَةً
تُرْجِعُ بَيْنَ الْمَرَايَا...

الغائب (أو قصيدة نورمان دياب)

تَغيبُ...

وَتَتْرُكُ فِي الْقَلْبِ بَسْمَتَكَ الْوَارِفَةَ...

تَغيبُ...

كَأَنَّ الْغِيَابَ رَحِيلٌ...

وَجَرَحٌ عَمِيقٌ بِخَاصِرَةِ الْعَاصِفَةِ...

تَغيبُ...

وَتَتْرُكُ فِيْنَا

هَدوءًا عميقًا

وَأَحْلَامَ كَوْنٍ جَدِيدٍ...

وَأَنْتَ الَّذِي قُلْتَ:

"أَتْرُكُ هَذَا الْإِلَهَ لَكُمْ"

فاتركوني لحالي..."
 تَلَحَّفْتَ قَلْبَ الْإِلَهِ، صَدِيقِي،
 وَعَانَقْتَهُ الْيَوْمَ هَذَا الْعِنَاقَ الشَّدِيدُ...

تَغِيبُ...
 وَأَنْتَ حُضُورٌ سَحِيقٌ بِقَلْبِ الْجَمِيعِ،
 وَوَجْهَكَ قَوْسٌ قُزْحٌ...
 فَكَيْفَ، إِذَا لَمْ تَكُنْ حَاضِرًا،
 يَنْسُلُ الْحَاضِرُ الْمَسْتَحِيلُ
 حَدُودَ الْفَرْخِ؟
 وَكَيْفَ يُوَارِيكَ عِنَّا ظَلَامٌ
 وَقَلْبُكَ أَنْتَ ضِيَاءٌ... ضِيَاءٌ...
 وَأَحْلَامُكَ الْوَاسِعَاتُ تُصَيِّرُ هَذَا الْمَدَى
 ضِيْقًا... ضِيْقًا...

وَتُجَدِّدُ رَسْمَ نُحُومِ الْفَضَاءِ...
 وَيَنْكَسِرُ الْقَدْرُ الْمْتَهَدِّلُ بَيْنِي وَبَيْنَكَ...
 يَعْوِي الزَّمَانُ صَغِيرًا... صَغِيرًا...
 لِأَنَّ الْقَضَاءَ تَكَسَّرَ فِيَّ وَفِيكَ -
 فَبَيْسَ الْقَضَاءِ!

تَحَطَّيْتُهُ سَاخِرًا، يَا صَدِيقِي،
 وَحَمَلْتِ بَسْمَةَ ثَعْرِكَ رَفُضَ الشُّمُوحِ،
 وَأَعْلَنْتِ صَوْتَكَ لَوْنَ الصَّفَاءِ...
 لَكِنَّ كُنْتَ غَيْبَتْ بِحَقِّ
 فَكَلُّ الْقَصَائِدِ صَمْتُ مَمِيَّتْ،
 وَكَلُّ الْأَمَانِيِّ هَبَاءً... هَبَاءً...
 وَكَيْفَ تَغِيْبُ
 وَأَنْتِ رَسَمْتِ بِكُلِّ فَوَادٍ
 بِنُحُورِ الصَّفَاءِ
 وَصِدْقِ النَّقَاءِ،

وغيَّرتَ فينا حدودَ السماء؟

تغيَّبُ...

وتترُكُ هذا الوجودَ الصَّفيقَ...

وتُعلنُ، في صمتِكَ المطمئنِّ،

عُبُورَ الكلامِ، وبدءَ الطريقِ...

وتزرُعُ فينا،

على وجهِكَ المتبسِّمِ،

بذرةَ رفضٍ عميقٍ...

تركتَ الصلاةَ

لأنَّ الإلهَ الذي يعبدونَ

عَدَا ثابتًا... كالجدارِ...

وصارَ تقاليدَ باليةً... واحتضارَ...

ورحتَ تُصَلِّي

لربِّ يجيءُ مِنَ النَّارِ،
 يسْكُنُ فِي بَصَمَاتِ الْحَرِيقِ،
 وَيَخْرُجُ مِنْ زَعَزَعِ الرَّفْضِ،
 يُغْوِيهِ تَدْمِيرُ هَذَا الْمَدَى
 لِيَعُودَ أَصِيلاً
 وَتَسْتَرْجِعَ الرُّوحُ فِيهِ الْأَلْقُ،
 تُصَلِّي لِكَوْنِ سَمَا الصِّدْقِ فِيهِ
 وَكَسَّرَ حَدَّ الْقَلْقِ...
 وَقَالُوا: نَسَيْتَ الصَّلَاةَ،
 وَضَيَّعْتَ إِيمَانَكَ الشَّرَّ بِالْكَفْرِ،
 زَيَّنْتَ كُفْرَكَ بِالْكَلِمَاتِ...!
 وَلَمْ يَعْرِفُوا
 أَنَّ رَفْضَكَ صِدْقٌ،
 وَإِيمَانَكَ الْمُسْتَحِيلَ ضِيَاءٌ رَقِيقٌ
 يَفِيضُ عَلَى الْبَسَمَاتِ...

وَأَنَّكَ كُنْتَ تَصَلِّي
 مَتَى زَلَزَلَ الرَّفْضُ هَذَا الرَّيَاءَ،
 وَأَعْلَنْتَ رَفْضَكَ لِلْكَبْرِيَاءِ...
 وَأَعْلَنْتَ أَنَّ الْمَحَبَّةَ فِعْلٌ،
 وَأَنَّ الْإِرَادَةَ تَقْهَرُ حَتْمَ الْقَضَاءِ...
 وَكُنْتَ تَرَى الصِّدْقَ فِي صَمْتِكَ الْمَتَجَلِّي،
 وَيَفْتُنُّكَ الرَّفْضُ،
 يَفْتُنُّكَ الصِّدْقُ
 فِي وَجْهِ هَذَا الْعَمَاءِ...
 وَأَنْتَ بِصِدْقِكَ
 غَيَّرْتَ فِينَا حُدُودَ السَّمَاءِ...

يَقُولُونَ: غَيْبَتَ...
 وَمَا عَادَ قَلْبُكَ يَنْبِضُ،

ما عدتَ تسمعُ إلا السُّكُونُ...
 يقولون: إِنَّا سَنَشْتاقُ صَوْتَكَ،
 نَشْتاقُ رَفْضَكَ،
 نَشْتاقُ بِسْمَتِكَ السَّاخِرَةَ
 ووقِعَ حُطَاكَ بظِلِّ "تجاوُزَ" مَعْنَا،
 ولَفْظَتَكَ السَّاخِرَةَ...
 ولكنْ،
 لماذا، إذا اجتمعَ اثنانِ مِنَّا،
 رأيناكَ ثالثًا في أمتِدَادِ الفُتُونِ؟
 وإنَّ قِيلَ شِعْرُ رأيناكَ تَقْرَأُ،
 إنَّ حَضَرَ السَّامِرُونَ رأيناكَ تَحْضُرُ،
 إنَّ نَبَضَ القَلْبِ حُبًّا
 رأيناكَ بِالْحُبِّ تَغْسِلُ وَجَهَ الشُّجُونِ؟
 فكيفَ تَغيبُ
 وأنتَ أشدُّ حُضُورًا مِنَ الحاضِرِينَ،

ووجهك مُنْحَفِرٌ فِي الْقُلُوبِ... ..

جَمِيعِ الْقُلُوبِ... ..

وَكَيْفَ تَغِيبُ، صَدِيقِي،

وَأَنْتَ حَاضِرُ الْأَمَانِي الشَّرِيدَةِ؟

وَكَيْفَ تَغِيبُ

وَقَدْ كُنْتَ أَنْتَ بِهَاءِ الْحُضُورِ

وَأَنْتَ الْقَصِيدَةُ؟

٢٠١٤ / ٥ / ١٠

باب الطم

(إلى روبيير البيطار)

تُعَمِّسُ قَلْبَكَ بِالشِّعْرِ...

حَتَّى الضِّيَاءِ...

وَتُبْحِرُ فِي الحُلْمِ المَسْتَحِيلِ

إِلَى آخِرِ الكَوْنِ،

تَكْسُو حُقُولَ الحُرُوفِ بِلَوْنِ الصَّفَاءِ.

يُعَمِّدُكَ الحَرْفُ بالضَّوءِ،

تُشْرِقُ...

تُحْمُّ تَذَوِبُ عَلَى غَمِّمَاتِ القَمَرِ،

وَتَزْرَعُ أَحلامَكَ التَّائِهَاتِ

بِأَرْضِ السَّفَرِ

لِيُزَهَرَ فِيهَا السَّنَاءُ

وَيَعْدُو قَلْبَكَ أَنْتَ الثَّمَرُ...

وَتَقْطُفُ مِنْ قَلْبِكَ الشِّعْرَ،
 تَعْجُنُهُ بِذَهْوَلِكَ،
 تَحْبِزُهُ بِضَمِيرِكَ،
 يَخْرُجُ مِنْكَ رَغِيْفًا
 أَشَدَّ أَرْتَعَاشًا مِنْ الضَّوْءِ
 وَهُوَ يُلَامِسُ قَلْبَ السَّمَاءِ...
 وَتَرْفُصُ كَالطِّفْلِ
 حِينَ يُؤَاتِيكَ وَحْيِ الْقَصِيْدَةِ،
 تُنْسِيكَ هَذَا الْوَجُودَ الْعَمَاءِ...
 وَيُشْعِلُكَ الْحَرْفُ وَهَجًّا
 تَبْيِضَ بِالْوَحْيِ،
 تَحْمِلُكَ الْأَسْئَلَةَ
 إِلَى طَرْفِ الْكُوْنِ
 خَارِجَ هَذِي الْمَنَى الزَّائِلَةِ —
 تَصِيرُ إِلَهًا يَفِيضُ وُجُودًا،

وَدُنْيَا تَشِعُّ وَعُودًا،
 وَبَرَقًا يُكْحَلُ جَفْنَ الْفِضَاءِ،
 وَصَوْتًا يُلَوِّنُ هَمْسَ الْإِبَاءِ،
 وَضِحْكَةً طِفْلِ
 تُخِيطُ مِنَ الْجُرْحِ لَوْنَ بَهَاءِ...

وَتَكْبَرُ فِيكَ "تَجَاوُزُ"،
 تَحْضُنُ صَوْتَكَ وَهُوَ يُعَرِّدُ بَيْنَ الْقَوَافِي،
 وَيَحْمِلُكَ الشِّعْرُ خَارِجَ هَذَا الْوُجُودِ،
 وَخَارِجَ هَذِي الْمَنَافِي...
 كَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ...
 وَالْبَدْءُ مَا زَالَ يَقْطُرُ شِعْرًا،
 وَمَا زَالَ فِيكَ وَفِينَا
 رَحِيلًا إِلَى حُلْمٍ

يَتَمَدَّدُ دُونَ ضِفَافٍ ...

وما زِلْتَ ... ما زِلْتَ فِي الْأَحْرَفِ النَّاعِسَةِ

تُدَوِّبُ ضَوْءَ النُّجُومِ

عَلَى وَرَقٍ مِنْ دَمٍ وَعَصَبٍ،

وَتُعْوِي الزَّمَانَ ...

فَيَفْتَحُ لِحَظَاتِهِ التَّاعِسَةَ

لِيَمْسَحَهَا بِجُبُورِ اللَّهَبِ ...

كَذَا كَانَ فِي الْبَدْءِ ...

وَالْبَدْءُ مَا زَالَ يَقْطُرُ شِعْرًا

وَيَعْرِقُ عَبْرَ مِدَادِكَ

فِي مَلَكُوتِ الْعَجَبِ ...

غَرِيبٌ عَلَى أَرْضِنَا

لَيْسَ فِيكَ سِوَاكَ ...

وَأَنْتَ تُصَالِحُ بَيْنَ السَّمَاءِ وَبَيْنَ التُّرَابِ،
وَتُعَلِّمُنِي قَلْبَكَ أَنْشُودَةً

تَتَوَاتَرُ بَيْنَ أَنْفِلَاتِ الْمَدَى وَالسَّرَابِ،

وَتُشْرِقُ حِينًا إِذَا هَبَطَ اللَّيْلُ،

تَأْرَقُ حِينَ يُلَفُّ بِهَا الْوَحْيُ،

تَنْزِلُ بَيْنَ الْحُرُوفِ قَصِيدَةً،

وَتَهْجُرُ هَذَا الْفَضَاءَ الَّذِي أَلْفَ النَّاسِ،

تَهْجُرُ جِسْمَكَ وَهُوَ دَمٌ وَعِظَامٌ

لِتَعْدُو أَنْتَ جُسُومًا عَدِيدَةً

يُرِيحُهَا أَلْقُ الشِّعْرِ —

تُقْبَلُ... تَرْقُصُ حِينَ تَشَاءُ...

وَتَهْوَى وَتَكْرَهُ حِينَ تَشَاءُ...

وَتَخْلُقُ... تَهْدُمُ حِينَ تَشَاءُ...

وَتَنْزِلُ فِي الْكَوْنِ رُؤْيَا جَدِيدَةً...

تَحْوِكُ الْقَصِيدَةَ أَحْرُفَهَا فِيكَ

شيئاً فشيئاً...

لِيَكْتُبَكَ الْفَجْرُ كُلَّ نَهَارٍ

فَتَنْزِفَ عَيْنَاكَ ضَوْءًا،

وَيَنْزِفَ قَلْبَكَ ضَوْءًا،

وَيَرْفَعَكَ الشِّعْرُ نَحْوَ حُدُودِ الْبَهَاءِ...

كَأَنَّ مِدَادَكَ لَيْسَ مِدَادَكَ،

لَيْسَتْ حُدُودُ السَّمَاءِ سَمَاءَكَ...

عَيَّرْتَ بِالشِّعْرِ وَجَهَ الْوُجُودِ...

وَوَجَهَ السَّمَاءِ!

هنا... لَيْسَ فِيكَ سِوَاكَ...

غَرِيبٌ عَلَى أَرْضِنَا

وَقَرِيبٌ مِنَ الْقَلْبِ... حَتَّى التَّلَاشِي،

وَفِي الْقَلْبِ جَمْرٌ، وَغَابَاتُ أَسْئَلَةٍ...

وَمُتَوْنَ تُوثِقُ نَبْضَاتِهِ... وحواشي...

وفي القلبِ عِطْرٌ... ووردٌ...

وشمسٌ وظِلٌّ...

وكونٌ تَعَمَّرَ مثلَ السَّرَابِ يُطِلُّ...

وتَبَحَّثُ عن أَلْقٍ في الغرابةِ،

تَبَحَّثُ عنِ مَسْتَحِيلٍ يَهْلُ...

تُدَوِّبُهُ في المِدادِ،

وترسُمُ منه أساطيرَ

في أحرفِ الضوءِ،

تَغْسِلُهُ برذاذِ القصيدةِ...

حتى يصيرَ رذاذًا...

تُلَوِّنُهُ برنينِ الفَرْخِ،

وتَعْرِبُ في الشِعْرِ،

تُشْرِقُ...

تُمَطِّرُ فوقَ الزُّروعِ،

وَيَشْرُكُ الشِّعْرُ قَوْسَ قُزْحٍ...
 وَتَبَحُّثُ عَنكَ بِإِشْرَاقِ الْوَحْيِ،
 لَكِنَّمَا غَيَّبَ الْوَاقِعُ الْمَتَهَدِّلُ
 قَلْبَكَ فِي نَثْرِهِ،
 وَاحْتَوَاكَ الضَّبَابُ مَتَى عُدْتَ...
 فَانْشُرْ حَيَالِكَ حَيْمَةَ شِعْرِ،
 وَسَمِّ الْحُضُورَ الْقَضِيَّةَ،
 وَهَبَّ حَفِيفًا، يُهَا الْحَالِمُ الْمَطْمَئِنُّ،
 لِتَشْتَبَ وَاقِعَكَ الصَّلْبَ بِالْكَلِمَاتِ السَّنِيَّةِ
 وَتَرْحَلَ فِي الْحُلْمِ...
 تَبْقَى الْقَصِيدَةُ أَعْرَاسَهُ الْأَبْدِيَّةَ...
 وَتُعْلِنُ:
 بِالشِّعْرِ نَمْلًا أَيَّامَنَا الْفَارِغَاتِ،
 وَبِالشِّعْرِ نَرْسُمُ هَذَا الْوُجُودَ،
 نُؤَيِّدُ لِحَظَاتِهِ الرِّمْنِيَّةَ،

وبالشَّعْرِ نُعَلِنُ عَنْ قُوَّةِ الْخَلْقِ،
تَعْدُو دِمَانًا مِدَادًا،
وَنَبْضُ الْفؤَادِ حُرُوفًا،
وَأَحْلَامُنَا الْأَبْجَدِيَّةُ...

زهر الغائب (أو: قصيدة جورج خانم)

يقولون غِبْتَ
 وأشعلتَ لَوْنَ الأسي
 في ثيابِ البقاء...
 يقولون إنَّكَ غادَرتَ
 حَلَفَ حُدودِ الرجاء...
 وفي مثلِ هَذي الهُنيئاتِ
 تَرنو إلينا،
 وفي لَحَظاتِ الصِّفاءِ
 تُشاهدُ ظِلَّكَ في مُقلتينا
 وتَرحلُ...
 في فَرَحِ الحُبِّ

حِينَ يَعُودُ إِلَيْنَا الْمَسَاءَ.

وَكُنْتَ، إِذَا سَافَرْتُ فِي رُؤَاكَ الْحُرُوفُ،

تَرَمَّ فِيهَا الْمَدَى وَانْفَتَحَ

وَسَافَرْتَ فِي الْكَلِمَاتِ

لِتَرْسَمَ فِيكَ الْمَحَبَّةُ زَهْرَ الْفَرْحِ

وَتُزْهِرَ أَرْضُ الطُّفُولَةِ

فِي مُهْجَةٍ مِنْ سَنَاءٍ،

وَيَهْمَسَ فِيكَ "نِدَاءُ الْبَعِيدِ"

لِيُرْشَحَ بِالطَّيْبِ رَجْعُ النِّدَاءِ —

فَكَيْفَ تَغِيبُ

وَمَا زِلْتُ أُبْصِرُ وَجْهَكَ

يَزْهُو عَلَى ظَهْرِ قَوْسِ قُنْحٍ؟

وحتى وأنت تُطِلُّ مِنَ الْفَوْقِ
لا تَسْتَطِيعُ فَكَاكًا مِنَ الشِّعْرِ
أَوْ مِنْ قُيُودِ الْبَهَاءِ،
ولا تَسْتَطِيعُ التَّوَحُّدَ فِي بُرْجِكَ الْمُتَعَالِي
لِأَنَّكَ فِينَا كَثِيرٌ
وَأَنَّكَ فِينَا تُغْنِي الصَّفَاءَ،
وَأَنَّ "مَرَايَا الْعُبَارِ" بَبَيْرُوتَ
تَمْسَحُ كُلَّ الْجِرَاحِ بَرِيَّتِ الطَّهَارَةِ
وَتَرْتَاخُ فِي لَحْنِكَ الْمَرِيَمِيِّ
جُفُونُ الْعِبَارَةِ...
فَكَيْفَ تَغِيبُ،
يُهَا الْحَاضِرُ الْمُسْتَقَرُّ بِقَلْبِي،
وَوَجْهُكَ فِينَا نَشِيدُ الْبَقَاءِ؟

هَوَ الْوَقْتُ، وَالْوَقْتُ لَيْسَ يُسَمَّى ...
 وَلَكِنَّهُ يَتَسَلَّلُ فِينَا كَلِصٍّ غَرِيبٍ
 وَيَسْرِفُنَا فِي سُكُوتٍ ... بَطِيئًا ... بَطِيئًا ...
 كَأَنَّ أَصَابِعَهُ الْمَاهِرَاتِ نَسِيمٌ عَلِيلٌ
 تُخَلِّفُ بَعْدَ الرَّحِيلِ
 فِرَاعًا عَجِيبًا.
 وَنَحْنُ لُصُوصُ الْحَيَاةِ
 نُحَاوِلُ أَنْ نَسْرِقَ الْعُمَرَ الْمُسْتَحْيِلًا
 وَنُمْسِكُ بِالْوَاقِعِ الْعَيْشِيِّ
 حَيَالًا هَزِيلًا
 وَلَكِنَّهُ يَتَبَخَّرُ بَيْنَ أَصَابِعِنَا
 كدُخَانٍ يَغِيبُ ...

فَكَيْفَ، إِذَا، كُنْتَ فِي الْعُمْرِ

هذا البقاء الأصيلًا؟
نُدُوبٌ وَتَبَقَى...
وَنَنَحَتْ فِي الحُزْنِ آهَاتِنَا
حِينَ تَفْرَحُ أَنْتَ
وَتَفْتَحُ فِيْنَا الحُبُورَ طويلاً... طويلاً...
وَتَرَسُمُ بِالشَّعْرِ كَوْنًا حُلُودًا
يُزَعْرَدُ فَوْقَ حُدُودِ السَّمَاءِ
وَيَقْتَنِصُ الأَلْقَ المَتَفْتِحَ
عَبْرَ ضَمِيرِ البَهَاءِ
وَنَنْسَى...
لِتَذُكُرَ أَنَّكَ بِالشَّعْرِ
أَرَّحْتَ فِيْنَا حُضُورًا
وَعَيَّرْتَ هَذَا الوُجُودَ الدَّلِيلَا...

يقولون غِبتَ...
 وأشعلتَ لونَ الأسي
 في ثيابِ البقاء...
 ولكنَّ وجهك في كلِّ زاويةٍ
 يقرأ الشَّعرُ،
 وجهك في كلِّ عينٍ
 يُوشحُ ترتيلةً في صفاءٍ،
 وفي صَوْتِ أولادِكَ الناظرينَ إليكِ،
 وفي وجهِ إخوتِكَ القَلقينَ عليكِ...
 فكيفَ تغيَّبُ، إذًا،
 وحُضوركَ يكسرُ حدَّ الفناء؟

كانَ يُمكنُ أنْ نستفيقَ
 ونُبصرَ وجهكَ بينَ الوجوهِ يُحدِّثنا

أَوْ يُلَامِسَ مَسْمَعَنَا صَوْتُكَ الْمُنْتَشِي
فِي غِنَاءِ الْقَصِيدَةِ...

كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ تَعْبُرَ اللَّحْظَةُ الْقَاتِلَةَ
وَتَبْقَى...

فَيَمْتَدُّ عُمُرُكَ فِي سَنَوَاتٍ جَدِيدَةٍ،
وَتَضْحَكُ مَعْنَا...

وَتَشْرَبُ كَأَسًا،

وَيَبْسَمُ تَعْرُكَ فِي الضَّحْكَةِ الْمَائِلَةِ.

كَانَ يُمَكِّنُ أَنْ يَسْتَمِرَّ غِنَاؤُكَ

فِي غَمِّمَاتِ الزُّهُورِ

وَيَبْتَزُّكَ الْوَقْتُ أَكْثَرَ بَيْنَ الْحُضُورِ...

وَلَكِنَّ...

لَوْ أَنَّكَ أَنْتَ بَقَيْتَ

لَمَا كَانَ وَجْهُ السَّمَاءِ

تَرْتَيْنَ بِالشِّعْرِ

أَوْ هَزَجَتْ فِي قُلُوبِ مَلَائِكَةِ الْفَوْقِ
آيُ الْقَصِيدَةِ
فِي مَهْرَجَانِ النُّشُورِ...
وَلَمَّا ازْدَانَ مَرْجُ الْكِيَانِ بَزْهَرٍ جَدِيدِ
فَأَلَامْنَا فِيكَ صَارَتْ زُهُورًا جَدِيدَةً...
أَيَا أَيُّهَا الْغَائِبُ الْمَسْتَقَرُّ بِقَلْبِي،
لَوْ أَنَّكَ أَنْتَ بَقَيْتَ
لَمَا أَكْتَمَلَ الشِّعْرُ فِيكَ
لَأَنَّ غِيَابَكَ صَارَ الْقَصِيدَةَ!

٢٠١٠ / ٣ / ٣١

كِتَابُ الْوَقْتِ

- ١ -

نَائِمٌ تَحْتَ جِلْدِي

وَجِسْمِي هَبَاءٌ...

يُطَارِدُنِي الصَّمْتُ فِي دَهْشَتِي

وَبُرُوجُ الْكَلَامِ نَوَافِيرُ مَاءٍ.

أَيُّهَا الْوَقْتُ،

هَلْ تَنْزِلُ الْيَوْمَ نَحْوِي

وَتَجْلِسَ قُرْبِي تُحَدِّثُنِي؟

كَيْفَ أَنْتَ عَلَى مَلْعَبِ النُّجْمِ

أَوْ فِي سَدِيمِ الرَّحِيلِ الَّذِي

يَتَعَشَّقُ لَوْنَ الْبِهَاءِ؟

كَيْفَ تَتْرُكُ خَطَوَاتِكَ الْهَادِيَاتِ بِقَلْبِي

وَأَنْتَ شَرِيدٌ كَقَافِلَةِ الرِّيحِ؟

كُنْتَ تُظَلِّلُ وَجْهِي بِجِلْدِكَ

وَهُوَ سَدِيمٌ

وَتَحْمِلُنِي مِنْ أَثِيرِي

إِلَى مِهْرَجَانِ الْقَصِيدَةِ.

يَا وَقْتُ،

لَمْ خُطَاكَ بِكَفِّي

وَجَمَعَ شُرُودَكَ فِي عُمْرِي

هَادِنًا كَخَرِيرِ الْمِيَاهِ

وَمُسْتَوْثِقِ الْخَطْوِ مِثْلَ عَيُونِ الْقَضَاءِ،

وَأَنْثَرِ الْحَتَمَ فِي وَقْعِي

ثُمَّ سَوِّ خُطَاهُ بِهَسَّهَسَةِ الْحُلْمِ —

هَذَا دَلِيلِي

وَبَيْنِي وَبَيْنَكَ لَوْنُ الْحُرُوفِ

الَّتِي تُشْبِهُ الْمَاءَ،

يَا وَقْتُ،

بَيْنِي وَبَيْنَ شُرُودِكَ هَذَا الْفَضَاءُ
فَكُنِ الْأَلْقَ الْمَتَحَرِّكَ بَيْنَ رَيْنِ الثَّوَانِي
وَشُدِّ إِلَيْكَ غِطَاءَ الْحُرُوفِ
وَأَلْقِ عَلَيَّ الشَّعْرَ هَذَا الْغِطَاءُ.

- ٢ -

حَائِرٌ فِي كِيَانِي
وَعَيْنَايَ صَارِيَّةٌ وَحُرُوفٌ...
يَتَجَمَّعُ بَيْنِي وَبَيْنِي الْمَدَى
مِثْلَمَا يَتَجَمَّعُ مَاءٌ بِشَقِيٍّ مَضِيقٍ/
هُنَا وَطَنٌ يَتَنَاقِضُ... حَتَّى السَّكِينَةِ...
فِي وَجْهِهِ قَضَمَاتٌ
وَفِي قَلْبِهِ صُفْرَةٌ وَحَرِيفٌ.
وَهُنَا غُرْبَةٌ

لَوْهَا كَانَسِلَالِ الْخَدِيعَةِ.

آه، اُعْلِقُوا بَابَ وَجْهِ عَلِيٍّ،

وَنَادُوا مَفَاتِيحَكُمْ -

إِنِّي أَتْرُكُ اللَّيْلَ يَسْتَعْرِضُ الْمَسْأَلَةَ:

كُلَّمَا نَبَتَ الْوَطْنُ الْمَتَكَرِّرُ

غَطَّتْهُ صَحْرَاؤُهُ الْقَاحِلَةَ.

كُلَّمَا أَنْتَظَرَ الشَّعْبُ شَعْبًا لِتَسْكُنَ أَحْلَامُهُ

صَدَّعَتْهُ الظُّرُوفُ.

أَيُّهَا الْوَقْتُ،

كَيْفَ تَرُدُّ إِلَى الْحُلْمِ أَضْوَاءَهُ

وَالظَّلَامَ يَطُوفُ؟

- ٣ -

يَنْسُجُ الْوَقْتُ أَكْفَانَهُ فِي عُرُوقِي

وَتَأْفُلُ فِي جِلْدِي الْكَلِمَاتُ
الَّتِي سَرَقَتْ نَوْمَهَا.

تَنْسُجُ الرِّيحُ بَيْنِي وَبَيْنَ الضَّجْرِ
لَوْهَا الْمَتَفْتِّحَ —

يَخْرُجُ مِنْ نَوْمِهِ اللَّوْنُ

ثُمَّ يُطَرِّزُ بَيْنِي وَبَيْنَ الْبَشَرِ
شَجَرَ الْإِحْتِلَافِ.

هُنَا فِي مَرَايَا الدُّهُولِ الَّتِي عَبَّرَ ذَاتِي
أَرَانِي وَحِيدًا...

وَلَكِنِّي فِي أَحْتِلَافِي كَبِيرٌ

وَأَوْسَعُ مِنْ كَلِمَاتِ الرِّينِ

الَّتِي خَرَجَتْ مِنْ فَمِ الْوَقْتِ.

كُلُّ حُرُوفِ الْوَرَى سَفَرٌ

وَحُرُوفِي تَوَالِدُ فِي ذَاتِي الْمَسْتَكِينَةَ

حَتَّى التَّوْتُرِ...

يَا وَقْتُ،
 بَيْني وَبَيْنَكَ أَنْشُودُهُ الصَّمْتِ،
 بَيْني وَبَيْنَكَ هَذَا الْمَدَى مِنْ كِيَانِي
 فَرُدَّ عَنِ الصَّمْتِ مَا عَمَّرْتُهُ الْأَحَاجِي،
 وَرُدَّ رَيْنَ الْمَعَانِي
 إِلَى الْعَجَبِ الْبِكْرِ،
 وَتُكُنِ الْأَبْجَدِيَّةُ هَمْسًا جَدِيدًا
 لِكُنْهِ الْوُجُودِ الْجَدِيدِ
 وَبَابًا إِلَى الْأَرْبِيِّ
 الَّذِي يَتَكَوَّرُ فِي شَكْلِهَا.
 كُلُّ شَيْءٍ يُجْرِكُ نَفْسَهُ نَحْوَكَ،
 يَا وَقْتُ،
 يَبْدَأُ مِنْكَ وَيَخْرُجُ مِنْكَ،
 وَكُلُّ الْمَدَى أَحْتَصَرْتُهُ ثَوَانِيكَ
 إِلَّا مَرَايَا الْقَصِيدَةِ فِي وَهْجِهَا الْمَتَأَلِّقِ

خانتك...

وَأَبْتَعَدْتُ عَنْ مَدَاهَا الثَّوَانِي
وَأَعَادَتْ صِيَاغَةَ مَا حَقَّرْتُهُ يَدَاكَ بِدَاتِي
وَصِرْتَ تَرَى، مِنْ خِلَالِ نَسِيحِي، رُوحِي
فَتَعْصَاكَ... تَعْصَاكَ... حَتَّى الْغِيَابِ...

وَتُقْعِي وَحِيدًا عَلَى بَاهِهَا
لَا تُؤَثِّرُ فِيهَا بَرَاثِنُكَ الطَّائِشَاتُ
وَلَا زَعْفُكَ الْمَتَوَاتِرُ...

يَا شِعْرُ،

هَذَا فَضَاؤُكَ

فَأَلْعَبُ بِهِ خَارِجَ الْوَقْتِ،

وَأَرْسُمُ لِدَاتِي مَدَاهَا

كَأَنَّ لِرُوحِي أَمْتِدَادَتَهَا

فِي نَسِيحِ الْأَمَانِي،

وَأَسْكُبُ الْوَقْتَ ضَوْعَ أَرِيحٍ

فَتُنزَعُ عَنْهُ الْمَهَابَةُ،
وَأَحْفِرُ بِهِ أَبْجَدِيَّتَكَ الْمَسْتَكِينَةَ
فَوْقَ حُرُوفِ كِتَابِهِ
تَسْتَنْزِلُ الْعَيْبَ فِي لَفْظَةٍ وَاحِدَةٍ.

أَيُّهَا الْأَبْدُ الْمَتَوَاتِرُ فِي الشِّعْرِ
عَبْدُ دُرُوبِ الْعَرَابَةِ
بِاللُّعَةِ الشَّارِدَةِ.

أيار ٢٠١٠

مزيميتان

مريم

يا جسداً من نور
يَتَهَادَى فَوْقَ حُقُولِ بَحُورٍ،
يا جَسَداً فِي كَلِّ الْأَجْسَادِ
يُحَوِّمُهَا عِطْرًا وَعَبِيرَ زُهُورٍ،
يا لَوْنَ الفَرَحِ الآتِي
مِنْ فِرْدَوْسِ الصَّلَوَاتِ،
يا عِشْقَ الرُّوحِ المَتَجَلِّي
فِي كَلِّ الْأَشْيَاءِ
وَفِي كَلِّ الهمَّساتِ...

فِي جَنَّتِكَ الْمَسْبُوكَةِ مِنْ لَوْنِ الطُّهْرِ وَرَائِحَةِ الْعِشْقِ
 الْمَتَجَلِّيِ أَتَجَمَّعُ فِي ذَاتِي / أَتَجَلِّي، وَأَطِيرُ إِلَيْكَ كَمَا يَخْنُو
 الْمَاءُ عَلَى الضَّوءِ، أَنَامُ بِهَذَا النُّورِ الْمَسْتَعْرِقِ، يَا كُلَّ
 الْأَسْرَارِ اجْتَمَعَتْ فِي سِرِّ، يَا كُلَّ نِسَاءِ الْأَرْضِ أَلْتَمَّتْ
 فِي خَاطِرَةِ امْرَأَةٍ، وَانصَهَرَتْ حَقْلًا أَرْزَقَ مِنْ ضَوْءِ،
 أَوْ

من رائحة الضَّوءِ...

بِجَنَّتِكَ الْمَسْكُوبَةِ دَاخِلَ جَسْمِ الْفَرْحِ الْعَارِي
 يَتَجَمَّعُ سِرُّ صَفَاءِ الْأَشْيَاءِ،
 وَيَصِيرُ رِذَاءَ
 لِلدُّنْيَا إِذْ تَتَجَلَّى
 أُعْنِيَّةَ حُبِّ
 تَنْبُتُ فِي كُلِّ الْأَمْدَاءِ...

في جَنَّتِكَ المسكوبَةِ داخلَ جِسْمِ الفَرَحِ العاري
تلثُّمُ جرحِ الدنيا
شَفَتنا "عذراء".

١٩٩٤

كتاب مريم

نورٌ مِنَ الأَعلى يُهَوِّمُ أَرْقًا
وَيَصْبُهُ أَرْجٌ تُوشِيهِ النجومُ.

نورٌ على نورٍ

وفجرٌ عابِقُ

تزهو بأزرقِهِ التُّخومُ،

والأَرْضُ تَلْبَسُ في في الزمانِ المَرِيَمِيِّ

وُرودها وأريجها،

ويطيرُ في هَمَسِ الصَّلَاةِ عَبيْرُها

زَهْوًا تُعانِقُهُ العُيُومُ.

فاضَ الصَّفَاءُ على الثرى

وتمدَّدتْ هَمَسَاتُهُ في كلِّ مَعْلَمٍ،

وانزاحتِ الأضواءُ

عَنْ ألقى الصَّلَاةِ وعطْرِها

لِتَكُونَ... مَرِيْمٌ!

وَتَفْرَحُ الزَّمَنَ الَّذِي يَأْتِي،
وتفتح للزَّمانِ زمانَهُ
وبدايةَ التَّاريخِ من تاريخِها المَضني.
بَتَوْلٌ... إِنْ مَشَتْ
مَشَتْ الحَقولُ وراءَها،
وَإِذَا رَنَتْ لِلنَّوْرِ شَعَّ بِهَا الضِّيَاءُ
وَأنداحَ فيضِ الطُّهْرِ من صلواتِها
فتلمَّستهُ الأرضُ
وارتعشَ الفضاءُ...
هذا هو الزَّمَنُ الجَدِيدُ:
يكونُ ما سَيكونُ —
عَهْدٌ مُستَجِدُّ

بَيْنَ كُلِّ النَّاسِ وَالْأَعْلَى
 يُكْرِسُهُ الْفِدَاءُ...
 وَتَهْيِيمُ فِي الصَّحْرَاءِ -
 "هَذِي نَخْلَةٌ... شُدِّي إِلَيْكَ بِجَذْعِهَا!"
 قَالَ الْمَلَأُ،
 وَشَقَّ أَطْبَاقَ السَّمَاءِ
 حَمَامَةً بِيضَاءُ.
 فَاضَ النُّورُ مِنْ أَعْلَى -
 "إِلَهِي، كَيْفَ يَسْكُنُنِي جَنِينُ
 وَأَنَا بَتُولٌ لَمْ تَمَسَّ يَدِي يَدَا بَشَرٍ
 وَلَا عَبْرَتٌ بِأَحْلَامِي طُنُونُ؟"
 - هُزِّي بِجَذْعِ النَّخْلَةِ!
 أَهْتَزَّتْ لَهَا أَمْدَاءُ هَذِي الْأَرْضِ
 وَابْتَدَأَ الزَّمَنُ،
 وَاخْتَارَهَا الْفَادِي لَهُ أُمَّا،

فلا دَنْسٌ إِذْنُ! ...

يا رَبُّ، أَحْمِلْ فِي ضَمِيرِي

سِرَّ الْأُلُوهِةِ وَالنُّبُوَّةِ -

لَيْتَ إِبْنِي لَمْ يَكُنْ رَبًّا إِهَّا!

لَيْتَنِي مَا كُنْتُ عَاشِقَةً الْأُلُوهِةِ

كِي أَقُولَ لَهُ: "صَبَاحَ الْخَيْرِ يَا أُبْنِي!"

لَيْتَنِي أَعْفُو وَأَحْضُنُهُ

وَأَرْقُدُ فِي سَرِيرِي ...

لَكَنِّي كَرَّسْتُ نَفْسِي لِلْفِدَاءِ

وَكَرَّسْتَنِي نِعْمَةً الْمَلَكُوتِ

أُمَّا لِلْإِلَهِ وَزَوْجَةً

وَنَوَافِذًا لِلْعَهْدِ يَفْتَحُهُ الْمَسِيحُ

لِتَوْلِدَ الدُّنْيَا بِفَرَحَتِهَا مِنَ الْأَلَمِ الْمَرِيرِ.

عَانَيْتُ مِنْ أَجْلِ الْفِدَاءِ
 مِرَارَةَ الْأُمَّ الَّتِي تَكَلَّتْ،
 وَمُتُّ مَعَ ابْنِي الْمَصْلُوبِ
 أَلْفًا فِي ثَوَانِي...

وَدَخَلْتُ عَتَمَ الْقَبْرِ فِي كَفْنٍ،
 وَسَمَّرَنِي الزَّمَانُ عَلَى الزَّمَانِ،
 وَنَهَضْتُ مِنْ مَوْتِي
 مَتَى نَهَضَ الْمَسِيحُ
 وَعَدْتُ وَعَدًّا مِثْلَهُ فِي الْعَهْدِ
 يَغْسِلُنَا جَدِيدًا —
 قَطْرَةَ الْعَهْدِ الْجَدِيدِ.

سَأَظَلُّ أَحْضُنُ هَذِهِ الدُّنْيَا كَأُمٍّ:
 كُلَّمَا دَمَعَتْ عَيُونُ الْبَائِسِينَ دَمَعَتْ فِيهَا.

كلّما همستُ صلاةً للسماءِ ظَهَرْتُ فيها.
كلّما لثمتُ شِفاهُ الحُبِّ حَداً كُنْتُ فيها...
فأنا الشَّهادةُ والشَّهيدُ،
أجثو على قَدَمِ المسيحِ
وأحضنُ النورَ المخلِّصَ إنْ تكَلَّمْتُ،
وأرافقُ النَّاسَ الذينَ يُزَيَّرُونَ
بشعلةِ الإيمانِ
مجدَ الرَّبِّ في الحُبِّ المعظَّمِ،
وتَظَلُّ عيني تَرْفُبُ الدُّنيا لتَحْرُسَها،
وتترُكُ في قلوبِ البائسينَ على المدى
عيناً لمريمَ...

٢٠٠٨ / ٥ / ٢٧

فهرس المحتويات

ص ١	القصيدة ١
ص ١١	القصيدة ٢
ص ٢٣	صديق
ص ٣٥	مرآة لجليل حيدر
ص ٣٧	الغائب (أو قصيدة نورمان دياب)
ص ٤٥	باب الحلم
ص ٥٥	زهر الغائب (أو قصيدة جورج غانم)
ص ٦٣	كتاب الوقت
	مريميتان
ص ٧٣	مريم
ص ٧٧	كتاب مريم



هو الوقت، والوقت ليس يُسمَى ...
ولكنه يتسللُ فينا كَلِصِّ غَرِيبٍ
ويَسْرِقُنا في سُكوتٍ ... بطيئاً ... بطيئاً ...
كأنَّ أصابعهُ الماهرَاتِ نَسِيمِ عَلِيلٍ
تُخَلِّفُ بَعْدَ الرَحِيلِ
فراعاً عَجِيبَ .
ونحنُ لُصُوصُ الحِياةِ
نُحاولُ أنْ نَسْرِقَ العُمَرَ المُسْتَحِيلَا
ونُمسِكُ بالواقِعِ العَبَثِيِّ
حَيالاً هَزِيلَا